حذف الحروف في سورة يس

محمد نور بن حسين

عدنان بن مت علي

محمد فردوس بن عبد المناف

الملخص:

الحذف ظاهرة إعجازية واردة في آيات كثيرة من القرآن الكريم. ويفيد هذا الإعجازُ إيجازًا واختصاراً، وهما من خصائص اللغة العربية الأصيلة. ويُدرَس دراسةً نحويةً وبلاغيةً من أجل التعمق فيها وإبراز الجانب الإعجازي من ورودها في القرآن الكريم. وتهدف المقالة إلى دراسة هذه الظاهرة الواردة في سورة يس فقط لكي يسهل التركيز على الشواهد فيها بصورة أدقّ. وتتم الدراسة دراسة وصفية وبلاغية مركزة على بيان مفهوم الحذف، وأنواعه، وأغراضه البلاغية.

المقدمة:

للقرآن الكريم ميزات كثيرة ووجوه متعددة من الإعجاز، ومن ضمنها الإعجاز بإيجاز الحذف. وبالرغم من وجود دراسات كثيرة في القرآن الكريم من الجانبي النحوي والبلاغي، يرى الباحث أن هذا الإعجاز ما زال يحتاج التعمق في دراستها لأن من الملحوظ أن العلماء المفسرين واللغويين والبلاغيين يختلف بعضهم عن بعض في في تقدير الأجزاء المحذوفة. ولذلك يسعى الباحث في دراسة هذا الإعجاز خدمةً للقرآن الكريم واللغة العربية، وتيسيراً لفهمه فهما عميقا صحيحا.

وتهدف المقالة إلى معرفة وظيفة الحذف البلاغية في فهم النصوص ومتابعة آراء العلماء البلاغيين في شرح المحذوفات كما تعرض المقالة مواطن الحذف الواردة في النصوص القرآنية. وتخص المقالة مناقشة حذف الحروف في سورة يس دون حذف الكلمات أو الجمل نظرا لتوسع وروده في السورة.

مفهوم البحث:

الحذف ظاهرة لغوية وميزة من ميزات القرآن الكريم واللغة العربية ذاتها، لأنها من خصائصها الأصيلة تختص بالإيجاز والاختصار، والحذف يعد أحد نوعي الإيجاز، والآخر القصر. ومفهوم الحذف لغةً إسقاط بعض أجزاء الكلمة أو الجملة لسبب ما (نجيب:١٩٨٥). وقد ورد في معجم الصحاح "حَذْفُ الشيءِ: إسقاطُه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي أخذت، وحَذَفْتُ رأسَه بالسيف، إذا ضربته فقطعتَ منه قطعةً" كما ورد كذلك في لسان العرب "حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر من ذلك... والحَذْفُ الرَّمْيُ عن جانِبٍ والضرْبُ" (ابن منظور:١٤١٤هـ).

وأما مفهومه اصطلاحا هو هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن (الجرجاني: ١٩٦١). ويذكر البلاغيون ضرورة تقدير المحذوف حتى لا يُحمل الكلام على ظاهره، وحتى يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجع إلى الكلام نفسه، لا إلى غرض المتكلم. (الجرجاني:١٩٩١)

أغراض الحذف:

تقدم المقالة أغراض الحذف دون الأسباب لأنها –الأسباب– عني بذكرها وتفصيلها النحاة، ولكنّ الأغراض فقد ناقشها وفصّلها البلاغيون. ويرى ابن هشام (ت.١٣٦٠م) أن الأغراض يتناولها البيانيون والمفسرون، وأنها ليست من عمل النحاة، فأسباب الحذف هي العِلل الظاهرة التي يقع الحذف عند وجودها، وأما الأغراض فهي الأهداف البعيدة التي يقصدها الناطق في المحذوفات. وهذه الأغراض ما يلي:

١) التخفيف:

كثير من الأسباب الظاهرة للحذف غرضُها التخفيف، كما ورد عند سيبويه (ت٧٩٦م) "وقولهم ليس أحد أي ليس هنا أحد، فكل ذلك حُذِف تخفيفًا واستغناءً بعلم المخاطَب بما يعني". فكثرة الاستعمال تستلزم الحذف رغبةً في التخفيف كالتقاء الساكنين، لصعوبة النطق بهما.

٢) الإيجاز والاختصار في الكلام:

كثير من أنواع الحذف ناتجة عن رغبة المتكلم في الاختصار والإيجاز، فمثلا يُحذف الفاعل عند بناء الفعل للمجهول لغرض الاختصار والإيجاز. وقد ورد عند الزركشي (....) في فوائد الحذف أنه طلب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى المثير في اللفظ القليل.

٣) الاتساع:

يعد الاتساع نوع من المجاز بسبب نقل الكلمة من حكم كان لها إلى حكم ليس بحقيقة فيها، ومثال ذلك حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ أي: بر من اتقى. ويرى سيبويه (....)١٨ أن الحذف للتوسع في اللغة أكثر من أن يحصى.

٤) التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام:

وقع الحذف لغرض التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام كما في قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر:٧٣)، فالجواب محذوف لأن وصف ما يجدونه لا يَتَنَاهى؛ فحُذِف تفخيمًا وإعظامًا له، حيث إن الكلام يضيق عن وصفه.

٥) صيانة المحذوف عن الذكر في مقام معين تشريفا له:

تبين هذا الغرض من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أُبْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ بِشَيء، فَلْيَسْتَتِرْ بِسَتْرِ اللهِ) ١٩، فالفعل ابتلي أسند إلى نائب الفاعل وحذف فاعله، وهو لفظ الجلالة صيانةً له عن ذكره في ذلك المقام الذي سمى فيه الذنوب باسم القاذورات.

٦) تحقير شأن المحذوف:

تحصّل هذا الغرض كما في قوله تعالى ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾، فلم يذكر المبتدأ تحقيرًا لشأنهم.

٧) قصد البيان بعد الإبهام:

تحقق قصد البيان بعد الإبهام في فعل المشيئة إذا وقع شرطًا كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَهَدَاكُم أَجْمَعِينَ﴾ فالمفعول لفعل المشيئة (شاء) محذوف تقديره: ولو شاء الله هدايتكُم لهداكُم. وسر هذا الحذف البيان بعد الإبهام؛ لأنه لما قيل لو شاء علم أن هناك شيئًا تعلقت به المشيئة لكنه مبهم، فلما جيء بجواب الشرط وضح ذلك الشيء وعلم أنه الهداية.

٨) قصد الإبهام:

تحقق غرض قصد الإبهام إذا كان الذكر لا يؤثر في الكلام أو الحكم، كما في قوله تعالى ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، فالمهم –في هذه الآية– حدث الإحصار نفسه ولا يهم ذكر فاعله، بل إن ذكره قد يشغل المستمع عن الحدث وهو الأساس هنا.

٩) الجهل بالمحذوف:

يتم الحذف بغرض الجهل به إذا لا نعرف الفاعل كما في قولنا: (قُتِل فُلان)، و(سرقت الدار)، أي لا نعرف القاتل والسارق.

١٠) العلم الواضح بالمحذوف:

دلّ قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ على أنّ حذف الفاعل في قوله (كُتِبَ) للعلم به، وهو الله عز وجل.

١١) الإشعار باللهفة وأن الزمن يتقاصر عن ذكر المحذوف:

تحقق هذا الغرض في باب الإغراء والتحذير كما قوله تعالى ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ أي: ذروا ناقة الله والزموا سقياها.

١٣) رعاية الفاصلة والمحافظة على السجع:

وهو غرض لفظي؛ حيث تحذف حرف أو أكثر لمراعاة الفاصلة، مثل قوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ فمفعول به لفعل (قلى) محذوف لرعاية الفاصلة والتوافق الصوتي مع أواخر الآيات قبلها وبعدها.

مواطن حذف الحروف ودراستها البلاغية:

ورد حذف الحروف في مواطن عديدة من سورة يس، وهي:

١) قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)﴾

وقع حذف حرف الجر في قوله (أجرٍ كريم)، أي بأجرٍ كريم. وهذا الحذف لذكر مثله في السياق، وإعادة الذكر تجعلها عبثا.

٢) وقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)﴾

ورد حذف الياء في قوله (نحي) للثقل (النحاس:..) كما قوله: "لا يجوز إدغام الياء في الياء لئلا يلتقي ساكنان". والحذف للالتقاء الساكنين لا يؤدي إلى سرّ بلاغيّ.

٣) وقوله تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣)﴾

وقع حذف حرف الجر في قوله (إذ جاءها)، إي إذ جاء إليها، لأن الفعل (جاء) لازم ولا يتعدى إلا مع حرف الجر. ويفيد هذا الحذف السرعة، أي سرعة مجيء الرسل إلى أهل القرية.

٤) وقوله تعالى ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩)﴾

جاء عند أبي حيان (...) حذف الفاء في قوله (طائركم) كما قوله: "يجوز أن يكون الجواب طائركم معكم زكان أصله أئن ذكرتم فطائركم معكم، فلما قدم، حذفت الفاء". وفي الآية كذلك حذف (لا) النافية قبل قوله (بل)، والتقدير: لان بل أنتم قوم مسرفون. ووقع هذا الحذف لدلالة عليه سياق الكلام ويفيد الاختصار.

٥) وقوله تعالى ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)﴾

لوحظ أن المحذوف في الآية يكون في قوله (إني)، أي حذف حرف العطف الواو (وإني) لدلالة عليه سياق الكلام كما حذف صيانة عن الذكر في مقام معين تشريفا له.

٦) وقوله تعالى ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾

وجد الباحث أن سياق الكلام يدل على حذف فاء العطف في قوله (قال)، أي (فقال).

٧) وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١)﴾

وُجِد حذف (من) قبل قوله (قبلهم)، والتقدير: من قبلهم. ورأى حمودة (..) جواز حذف الجار (من) باطراد قبل مميز (كم) الاستفهام. ويعدّ هذا الحذف لسبب قياسي.

٨) وقوله تعالى ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)﴾

وجد الباحث أن الحذف وارد في قوله (قدرناه منازل)، والأصل: وقدرنا له منازل كما قول النحاس (...): "والتقدير في قوله (منازل): قدرنا له منازل ثم حذف اللام، وكان حذفها حسنا لتعدي الفعل على مفعولين".

٩) وقوله تعالى ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾

ورد حذف حرف الجر (الباء) في قوله (أن تدرك)، والتقدير: بأن تدرك. وقال حمودة (...): "حذف حرف الجر قبل (أن) المصدرية، وهو حذف قياسي لكثرة وروده في اللغة، وإعادة الذكر تجعلها عبثا.

١٠) وقوله تعالى ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)﴾

جاء العكبري (...) بتقدير المحذوف في قوله (إلا رحمة): "إلا برحمة، فحذف حرف الجر". وهذا الحذف لدلالة عليه السياق كما يفيد لسرعة رحمة الله إلى عباده المؤمنين.

١١) وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٧)﴾

وقد حذف لام الجواب بعد ورود أداة الشرط (لو يشاء الله)، وتقدير الجواب: لأطعمه. وأكّد حمودة (...) أنه يجوز حذف لام الجواب في الموضع حذفا سائغا. ويفيد هذا الحذف كذلك تحقيرا شأن المحذوف.

١٢) وقوله تعالى ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)﴾

وقع الحذف في قوله (ينظرون)، فالأصل: ينتظرون (القرطبي،...). أي حذفت التاء للتخفيف، أي تخفيف اللسان.

١٣) وقوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)﴾

وقد حذفت همزة الاستفهام في قوله (هذا ما وعد الرحمن)، والتقدير: أهذا. ورد عند حمودة (..) أنه جواز حذف الهمزة منوط بأمن اللباس بالجملة الخبرية، ويزيل اللباس قرائن السياق اللفظية والخالية. ويفيد الحذفُ الإنكار أو التعجب.

١٤) وقوله تعالى ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩)﴾

ورد حذف النداء لدلالة العادة عليه، والتقدير: يا أيها. وبيّن صاحب إعراب القرآن وبيانه (..) أن قوله (أيها) منادى نكرة مقصودة، محذوف منه حرف النداء. وأسهم هذا الحذف تقريب الصلة بين المنادِي والمنادَى.

١٥) وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦)﴾

أشار السمين الحلبي (...) إلى حذف الجار في قوله (فاستبقوا الصراط) كما قوله: "قوله (الصراط) ظرف مكان مختص عند الجمهور، فلذلك تأولوا وصول الفعل إليه على حذف الجار، أي إلى الصراط". وهذا الحذف للسرعة.

الخاتمة:

توصّلت المقالة إلى نتائج مهمة من الدراسة؛ منها أنّ ظاهرة الحذف توسعت في القرآن الكريم ولاسيما سورة يس. وبالنسبة إلى حذف الحروف، فمنها ما يفيد هدفا بلاغيا، وما لا يفيد. والمحذوفات بسبب إعرابيّ لا يؤثير تأثيرا بلاغياً، وأما الأخرى، فلها أغراض بلاغية تبرز إعجاز القرآن الكريم.

المراجع:

ابن هشام، ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (المتوفى: ٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، دمشق: دار الفكر.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، بيروت: دار الفكر.

حسين، محمد نور، ٢٠٠٦م، **ظاهرة الحذف في سورتي هود ويس؛ دراسة نحوية وبلاغية**، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، دمشق؛دار القلم.

طاهر سليمان حمودة، ١٩٩٨م، **ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى**، ط: الدار الجامعية.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (المتوفى: ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة: دار الكتب المصرية.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، **معاني القرآن**، مكة المرمة: جامعة أم القرى.